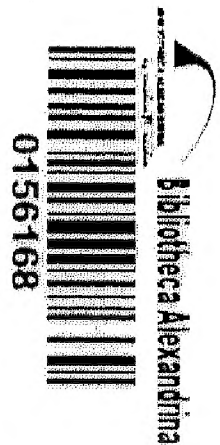


من بريوت
العقد الفريد

لأبن عبد ربه

عرض وانتقاء
الدكتور ناصر الأنصاري

دار الشروق



89

مِنْ بَرِيقِ
الْحَقِّ الْفَرِيدِ
لِابْنِ عَبْدِ رَبَّةٍ

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أستسرها محمد المعتز عام ١٩٦٨

القاهرة : ١٦ شارع حواد حسن - هانك - ٣٩٣١٥٧٨ ، ٣٩٢٩٣٣٣

بائس ٣٩٣١٨١١ (٠٢) بائس ، ٣٩٣١٨١١

بروت : ص ٨٠٦٤ هانك - ٣١٥٨٥٩ ، ٩١٧٦٩٥ ، ٩١٦٢١٣

بائس ٨٦٧٥٥٥ - بائس - بائس ٩١٧٦٩٥

من بريق
العقل المفرد

لأبن عبد ربه

عرض وانتقاء

الدكتور ناصر الأنصاري

١ - بيروت - دار الشروق

دار الشروق —

المقدمة

كتب التراث العربى بحر واسع من العلوم والمعرفة . ومن أهم أنواع هذه الكتب التراثية ، تلك التى تعنى بعملية الجمع والانتخاب من الإنتاج الأدبى : من الأدب والشعر والنثر والخطب والأمثال والأقوال المأثورة والحكم .

فالإنتاج العربى القديم فى هذه المجالات يتمتع بالثراء ، ولكنه عادة لم يكن يُجمع ، بل كان يُقال فى مناسبات معينة ، وقد يُدون وقد لا يدون ، ولكنه فى الأغلب كان يُحفظ فى الصدور ليخرج حسب المناسبة .

ومع التطور العادى للأمور، توفر البعض على جمع هذا الإنتاج لحفظه بالتدوين ، ولكن الضخامة كانت تحول أحياناً دون تدوينه كله ، فكان البعض يتجه إلى انتخاب البعض منه وتصنيفه وتبويبه بحسب الموضوعات التى يراها القائم بعملية الجمع والانتخاب ، ليخرج به مدوناً فى شكل كتاب مخطوط يتم تداوله بين الناس ، خاصة داخل دور الحكم وفى قصور الأمراء .

ويبدو أن عملية الجمع والانتخاب والتبويب هذه قد نشأت ساذجة ، ثم تطورت . ومن أوائل كتب المنتخبات ما قام به «الجاحظ» فى «البيان والتبيين» ، ثم أدخل «ابن قتيبة» فى كتابه «عيون الأخبار» فكرة جديدة فى التبويب والتصنيف بجمع الموضوعات المتشابهة تحت عنوان واحد مثل : كتاب السلطان ، وكتاب الحرب ، وكتاب الأطعمة ، وهكذا . . .

ونظرا لغزارة الإنتاج الأدبي ، فقد تشعبت الموضوعات وتفرعت ، مما جعل هذه الكتب تخرج في صورة هي أقرب إلى صور الموسوعات منها إلى الكتب بمفهومنا الحديث . فنجد صاحب الكتاب أو الموسوعة يتعرض للتاريخ والجغرافيا والآداب والسلوك والإنسان والحيوان والحرب والسلام والنصائح والمواظب والطعام والشراب والشعر والغناء والألحان والبخل والكرم والصفات والطباع ويتطرق البعض أحيانا إلى الحكم وأساليبه والسياسة والتولية والعزل

وأصبحت هذه الكتب الموسوعية تقع في آلاف الصفحات المخطوطة . ومع النقل ، أصبحت هذه المخطوطات عرضة للاختلاف بين نسخة وأخرى ما بين زيادة أو نقص أو تعديل في بعض الألفاظ ، وأحيانا تدخل الناسخ بآرائه الشخصية أو معلوماته الخاصة . ومع انتشار المطابع وبدء ظهور الكتب المطبوعة ، بدأ المحققون يتوفرون على كل ما يتحصلون عليه من نسخ من نفس الكتاب ولنفس المؤلف لمقابلتها بعضها ببعض للخروج بالكتاب الأصح في نظرهم لطبعه ونشر الفائدة منه .

تحقيق كتب التراث وأهميته :

ومنذ عشرينيات القرن الحالى ، أخرجت المطابع المصرية الكثير من كتب التراث العربى المحققة بمعرفة مجموعة من العلماء الذين بذلوا جهدا مشكورا لإحياء التراث . وقد أدت دور النشر المختلفة سواء الخاصة أو الحكومية دورا هاما ، وحتى الآن في عمليات تحقيق ونشر كتب التراث ، ومنها لجنة التأليف والترجمة والنشر ودار الكتب ثم الهيئة العامة للكتاب .

وقد يتساءل البعض : وما أهمية كتب التراث لنا الآن ؟! فهى كتب تجمع إنتاجا أدبيا ظهر منذ قرون ، ثم جمعت ودونت منذ قرون ، ثم حققت وطبعت منذ سنوات طويلة . . او ما علاقة هذا بالمستقبل الذى نصبو إليه ونتطلع إليه ؟!

ولكن من لا ماضى له ، لا مستقبل له . والشعوب التى لا تاريخ لها تبحث عن أى أصل تتشبث به لتبنى عليه . فما بالنا نحن ، وتاريخنا زاخر بالأجداد من جميع الوجوه ، ومن السهل علينا أن نبني عليه لمستقبلنا؟ فعلينا فقط أن نبحت عنه ونعيه ونعظ منه ونعتبر به .

إن الشجرة ضعيفة الجذور تنبت فروعا ضعيفة ، بينما الشجرة ذات الجذور العميقة يمكنها ببعض الرعاية البسيطة المنظمة أن تنبت الفروع الأقوى دائما بل والأعلى .

ولعلها حالة نفسية نمر بها ، نظرا لعراقة جذورنا وضخامتها وعمقها ، تجعلنا لانهتم بها . . بينما ذوو الجذور الضعيفة يتمسكون بأى جذور واهية حتى ولو كانت جذور الآخرين ، ويحاولون بشتى الوسائل تعميقها وتضخيمها ، إيماناً منهم بأهميتها لمستقبلهم .

فنحن إذن أولى بتشجيع الأجيال الجديدة للاطلاع على تراثنا ، ومن خلاله على تاريخنا وأجدادنا فى مختلف المجالات ، لعل ذلك يكون مشجعا ومحفزا لهم لتأكيد الهوية والاعتزاز والافتخار بأجيال الآباء والأجداد على مدى خمسين قرنا ، وبالتالي النظر إلى المستقبل بطريقة أفضل وبإيمان أكثر بذاتنا وبإمكانية التقدم والتفوق .

المختصرات :

ومع الإيقاع السريع والمتلاحق لنمط الحياة السائد الآن ، فمن غير المقبول

أن نطالب بقراءة جميع كتب التراث أو بقراءة كتاب بعينه كله ؛ فبعض هذه الكتب تصل صفحاته المطبوعة إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف صفحة ، وبعضها يزيد على ذلك . فهذا عمل المتخصصين . أما غير المتخصص ، فسوف يجد نفسه بين حلين : إما أن يهمل تماما هذا النوع من الكتب الضخمة التي تحمل وقته وميزانيته ما لا يطيق ، وإما ألا يهملها تماما .

لذلك لجأ أهل الغرب إلى حل ثالث ، وهو المختصرات ، أى اختصار كتب تراثهم الهامة والضخمة مع التركيز على ما يهم قارئ العصر الحديث الاطلاع عليه . فنجد مختصرات لأمّهات الكتب لديهم ولكبار الكتاب عندهم تلخص الأفكار الواردة في هذه الكتب ، وعند هؤلاء الكتاب . مثل كتب فولتير نجدها مختصرة في المكتبات الفرنسية ، ومثل كتاب قصة الحضارة لديورنت . والأمثلة لا تقف تحت حصر . بل ولجأ هؤلاء إلى حيلة أخرى ، هى جمع الأفكار الأساسية لمجموعة من الكتب الهامة التي كانت ذات تأثير واضح في التراث الإنسانى ، ونشرها معا في كتاب واحد . فنجد أيضا على سبيل المثال : أعظم مائة كتاب ، وأعظم مائة شخصية ، وأعظم خمسين قطعة موسيقية مسجلة ، وهكذا

الفهرسة والحاسب الآلى :

ومع التقدم التكنولوجى ، أصبحت هذه المواد تفهرس وتبويب وتجمع على الحاسب الآلى ، وأصبح من اليسير جدا على أى شخص أن يبحث عن الموضوعات التي يرغب الرجوع إليها أو الاطلاع عليها من خلال الكمبيوتر بجميع أدواته التي أصبحت متاحة بسهولة شديدة . وهنا تأتي أهمية الفهرسة

التي اتجه إليها اهتمام المحققين عندنا في كتبهم ، وهو ما سنعرض له في الفهارس التي وضعت للكتاب الذي نعرضه هنا . فأى كتاب في هذا الحجم بدون فهارس يصبح كالغابة الكثيفة الأشجار المتعددة الثمرات المتشابكة الأغصان ، ويصبح من الصعب على من يقتحمها أن يخرج منها بسهولة أو أن يظفر بها يريده منها .

مختصر العقد الفريد :

وسيراً على هذا المنوال المتقدم ، فقد اخترت أحد كتب التراث العربى الشهيرة ، وهو «العقد الفريد» ، وطبقت عليه المنهج السابق . فهذا الكتيب الذى بين يدي القارئ هو إذن مختصر لكتاب آخر يقع فى سبعة مجلدات ، متوسط كل مجلد منها حوالى خمسمائة صفحة . وإذا كان كاتبه الأصيل «ابن عبد ربه» قد اختار أو انتخب من الإنتاج الأدبى الكبير المتوافر لديه فى وقت كتابته ، فقد اخترت وانتخت بدورى منه القليل لعرض الأفكار الرئيسة التى رأيت أنها قد تفيد القارئ ، وقد تمحسه للاطلاع على الأصل ، أو على الأقل للإحاطة به إحاطة شبه شاملة بموضوعاته الأساسية ، مع عرض بعض الأمثلة منه .

اسم الكتاب : العقد الفريد

اسم المؤلف : أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حُدير بن سالم القرطبى الأندلسى ، وشهرته ابن عبدربه . وهو مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى .

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر — بالقاهرة .

سنة النشر : نشرت الأجزاء الستة الأولى بين سنتي ١٩٤٠ ، ١٩٤٩ بينما
نشر الجزء السابع وهو الخاص بالفهارس سنة ١٩٥٣ .

المحققون : الشرح والضبط والتصحيح وعنوانة الموضوعات وترتيب
الفهارس ، قام بها كل من : أحمد أمين وأحمد الزين
وإبراهيم الإياري وعبد السلام هارون .

الفهرسة : الجزء السابع الخاص بفهارس الكتاب التفصيلية وضعها كل
من : محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد رشاد عبد المطلب .

نبذة عن المؤلف :

ولد ابن عبد ربه سنة ٢٤٦ هـ . ونشأ بقرطبة بالأندلس ، وتثقف ثقافة
عصره من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب . وقد اتصف
بصفات الندماء من حب للموسيقى وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ،
وظهر ذلك في كتاب «العقد الفريد» ؛ ففيه الثقافة الدينية واضحة ، والثقافة
الأدبية واضحة ، وميله إلى الغناء والموسيقى واضح . وقد لازم الأمير عبد الله
الذى تولى عرش قرطبة سنة ٢٧٥ هـ . وناداه زمنا ومدحه بمدائح ، كما لازم
من تولى بعد موته سنة ٣٠٠ هـ . وهو الأمير عبد الرحمن الناصر . وقد توفى ابن
عبد ربه سنة ٣٢٧ هـ . عن عمر يناهز الثمانين .

الكتاب :

تصور المؤلف كتابه عقداً من العقود التى تتحلى بها النساء على
صدورهن ، وهو مؤلف من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة فى
جانب واثنتا عشرة أخرى فى الجانب الآخر . ولكنه لم يسم إلا الاثنتى عشرة

الأولى ، فلؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة ومرجانة وياقوته وجوهرة وزمردة وودرة
ويتيمة وعسجدة ومجنبة ، أما الاثنتا عشرة التى فى الجانب الآخر ، فهى نفس
الأسماء مكررة ، فاللؤلؤة الثانية والفريدة الثانية . . . إلخ . . . وهو هنا يتبع
السيمترية التى تتبع عادة فى عقود النساء ، أما فى الوسط وهى الثالثة عشرة
فأسماءها الواسطة .

فعقده منظوم من جواهر كريمة ، وفيه من كل صنف جوهرتان متقابلتان
إلا الواسطة ، وهو خيال شاعرى لطيف لم يسبقه أحد إليه . إلا أنه كما يبدو لم
يقف طويلاً عند اختيار اسم كل جوهرة لتتطابق أو تشابه كل موضوع .
فمثلاً اللؤلؤة الأولى عن السلطان واللؤلؤة الثانية عن الفكاهات والملح ،
والفريدة الأولى فى الحروب والفريدة الثانية فى الطعام والشراب . . .
إلخ . . .

وهو يقدم لكل باب بمقدمة من إنشائه ومن شعره إن وجد ، ثم ينقل
من أقوال وأشعار الآخرين . وأحياناً نراه ينقد ما ينقل فنجد له آراء جيدة فى
النقد الأدبى ، فيستحسن أو يستهجن أو يخالف الآخرين فى آرائهم فى أحسن
بيت .

منهج المؤلف فى كتابه : -

يشرح المؤلف بأسلوبه المنهج الذى انتهجه فى تأليف كتابه ، فيقول :
وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول
جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب . وإنما فى فيه تأليف
الأخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار . وفرش^(١) فى صدر كل

(١) الفرش أى التقديم .

كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء .
واختيار الكلام أصعب من تأليفه .

... فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكم .
وضروب الأدب ، ونوادير الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه .
فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب
ونظيره في كل باب ...

... وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرًا وأظهره
رونقًا وألطفها معنى وأجزلها لفظًا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة
أخذًا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ ﴾^(١) وقال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ،
ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون وقد
حذفت الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلبًا للاستخفاف والإيجاز ، وهربًا من
الثقل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادير لا ينفعها الإسناد
باتصاله ، ولا يضرها ما حذف منها

... وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة ، فوجدتها غير متصرفة في فنون
الأخبار ولا جامعة لجمال الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافيًا شافيًا جامعًا
لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك
والسوقة . وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في
معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في
كتابنا هذا

(١) الزمر : ١٨

. . . وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السِّلْك^(١) وحسن النظام . وجزأته على خمسة وعشرين كتابا ، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد . .
أجزاء العقد الفريد :

- الكتاب الأول : اللؤلؤة في السلطان .
- الكتاب الثانى : الفريدة فى الحروب .
- الكتاب الثالث : الزبرجدة فى الأجواد والأصفياء .
- الكتاب الرابع : الجمانة فى الوفود .
- الكتاب الخامس : المرجانة فى مخاطبة الملوك .
- الكتاب السادس : الياقوتة فى العلم والأدب .
- الكتاب السابع : الجوهرة فى الأمثال .
- الكتاب الثامن : الزمردة فى المواعظ والزهد .
- الكتاب التاسع : الدرة فى التعازى والمراثى .
- الكتاب العاشر : اليتيمة فى النسب وفضائل العرب .
- الكتاب الحادى عشر : العسجدة فى كلام العرب .
- الكتاب الثانى عشر : المجنبه فى الأجوبة .
- الكتاب الثالث عشر : الواسطة فى الخطب .

(١) السلك : كالنظم « وزنا ومعنى » .

الكتاب الرابع عشر : المجنبه الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور
وأخبار الكُتَّاب .

الكتاب الخامس عشر : العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم .

الكتاب السادس عشر: اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج .

الكتاب السابع عشر: الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم .

الكتاب الثامن عشر : الزمرده الثانية فى فضائل الشعر ومقاطععه ومخارجه .

الكتاب التاسع عشر: الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى .

الكتاب العشرون : الياقوتة الثانية فى علم الألحان واختلاف الناس فيه .

الكتاب الحادى والعشرون : المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهم .

الكتاب الثانى والعشرون : الجمانة الثانية فى المتنبيين والمحرورين والبخلاء
والطفيليين .

الكتاب الثالث والعشرون : الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر
الحيوان .

الكتاب الرابع والعشرون : الفريدة الثانية فى الطعام والشراب .

الكتاب الأخرى : اللؤلؤ الثانية فى التنف والهدايا والفكاهات
والملاح .

منهج التصحيح :

يقول أحمد أمين فى تقديمه للكتاب المنشور عن لجنة التأليف والترجمة
والنشر فى القاهرة سنة ١٩٤٠ ، فى تعدادده للنسخ التى أخذ الكتاب منها :

- (أ) النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى عن أصح نسخ الأستانة ، وهى أقرب النسخ إلى البصحة وفيها زيادات كثيرة ليست فى غيرها .
- (ب) النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٧٥٢ ، وهى كثيرة التحريف والنقص .
- (ج) النسخة المطبوعة فى بولاق ١٢٩٣ هـ .
- (د) النسخة المطبوعة فى المطبعة العثمانية ١٣٠٢ هـ .
- (هـ) النسخة المطبوعة بالمطبعة الشرقية ١٣٩٥ هـ .
- (و) نسخة أخرى طبع المطابع الشرقية ١٣١٦ هـ .
- (ز) النسخة المطبوعة بالمطبعة الأزهرية ١٣٢١ هـ .
- (ح) النسخة المطبوعة بالمطبعة الجمالية ١٣٣١ هـ .
- (ط) النسخة المطبوعة بمطبعة مصطفى محمد ١٣٥٣ هـ .

وهذه النسخ جميعها تكاد تستوى فى التحريف والتصحيح ، ومنها كلها خرجت هذه النسخة المصححة .

ويلاحظ القارئ الجهد الهائل المبذول فى عملية التصحيح والضبط والشرح أحيانا ووضع عناوين جانبية للموضوعات وترتيبها وتوضيها وفهرستها فى كل جزء . أما الجزء السابع وهو الخاص بالفهارس التفصيلية ، فيحتاج إلى بعض التفصيل .

منهج الفهرسة :

درج المحققون المحدثون على وضع فهارس للكتب محل التحقيق ، كذلك يفعل بعض الكتاب فى مؤلفاتهم ، بل إن الجامعات أصبحت تحتتم على المؤلف

أو الدارس أو الباحث أن يدقق ويهتم بالفهارس ومفاتيح الموضوعات الأساسية حتى يسهل الرجوع إليه . ومع التطور التكنولوجي الهائل في مجال الحاسب الآلي واستخدامه ، أصبحت هذه الفهارس ضرورة لا غناء عنها ، وبدونها لا يمكن أن تكون الاستفادة تامة وكاملة . فالفهارس تساعد الباحث في الوقوف على المادة ، خاصة إذا كانت غزيرة ومتنوعة .

ورغم أن فهارس كتاب العقد الفريد تم وضعها في أربعينيات هذا القرن بمعرفة كل من محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد رشاد عبد المطلب ، إلا أن شمولها وكمالها يضعها في مكانة عالية يسهل معها جدا إدخالها على برامج الكمبيوتر مع بعض التعديلات اليسيرة للغاية .

والجزء السابع الخاص بالفهارس يقع في ٢٩٦ صفحة تضم اثني عشر فهرسا هي :-

- ١ - فهرس الآيات القرآنية . ٣٣ صفحة .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية . ٥٠ صفحة .
- ٣ - فهرس الأعلام . ٧٩ صفحة .
- ٤ - فهرس الأمثال . ٣ صفحات .
- ٥ - فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع . ٢٣ صفحة .
- ٦ - فهرس الأيام . ٥ صفحات .
- ٧ - فهرس الأمم والقبائل والبطون والفرق . ٨ صفحات .
- ٨ - فهرس الكتب . ٩ صفحات .
- ٩ - فهرس الأشعار . ٧١ صفحة .
- ١٠ - فهرس أنصاف الأبيات . ٤ صفحات .
- ١١ - فهرس الأرجاز . ٧ صفحات .

١٢ - فهرس الموضوعات . ٤ صفحات .

ولعله من المناسب ضرب بعض الأمثلة من كل فهرس :

من فهرس آيات القرآن الكريم :

وهذا الفهرس موضوع بترتيب سور القرآن الكريم ، ثم بترتيب الآيات داخل كل سورة بالشكل التالى :

| رقم السورة | اسم السورة | رقم الآية | نص الآية | الجزء في الكتاب | الصفحة | السطر |
|---------------|---------------|--------------|------------------------|--------------------|--------|-------|
| ٢ | البقرة | ٨٣ | وقولوا للناس حسنا . | ٢ | ٣٩٣ | ١٣ |
| ٧ | الأعراف | ١٩٩ | خذ العفو وأمر بالعرف . | ٢ | ٤١٦ | ١٠ |
| | | | | ٤ | ٢١٢ | ١٧ |

من فهرس الأحاديث النبوية الشريفة :

وهى مرتبة ترتيبا أبجديا بأول حرف فيها من باب الهمزة إلى باب الياء ،
ومثالها :

| الحرف | نص الحديث | الجزء في الكتاب | الصفحة | السطر |
|--------|---|-----------------|--------|-------|
| الهمزة | استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتيان فإن كل ذى نعمة محسود . | ١ | ٢٤٠ | ١٦ |
| الهمزة | إن من الشعر لحكمة . | ٥ | ٢٧٤ | ٢ |
| الراء | روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت . | ٦ | ٣٧٩ | ٧ |

من فهرس الأعلام :

وهى مرتبة أبجديا وأوله فى باب الهمزة آدم عليه السلام ، ويذكر عدد مرات ذكره بالجزء والصفحة والسطر . وآخر اسم فى باب الهمزة أيوب عليه السلام .
ويأحصاء عدد الأعلام الواردة أسماؤهم فى هذا الفهرس تحت باب الهمزة فقط ، وجدتهم خمسمائة علم ، بعضهم ذكر مرة واحدة فى الكتاب كله وبعضهم ذكر مئات المرات ، وجميع هذه المرات محصورة ومعدودة فى الفهرس .

من فهرس الأمثال :

وهى أيضا بالترتيب الأبجدي للحرف الأول من الكلمة الأولى :
المثل : — أبصر من زرقاء اليمامة . ج ٣ ص ٧١ س ٤ .
كلام الليل يمحوه النهار . ج ٦ ص ١٩٩ س ٨ .
كما تدين تدان . ج ٢ ص ١٨٩ س ٨ .

من فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع :

وهي أيضا مرتبة أبجديا من الهمزة إلى الياء ، وأمامها رقم الجزء في الكتاب والصفحة والسطر :

الإسكندرية : ٣ / ٤٠٤ - ١٨ و ٦ / ٢٥٤ - ١٩ .

أي أنها ذكرت مرتين في الجزأين الثالث والسادس في الصفحات والأسطر المذكورة .

من فهرس الأيام :

يوم أحد : ٢ / ٢٩٥ - ٢ ، و ٤ / ٣٣٦ - ٩ ، و ٤ / ٣٩٠ - ٩ ، و ٥ / ٨٦ - ١٤ .
يوم بدر : ١ / ٩٧ - ١٣ . . .

من فهرس الأمم والقبائل والبطون والفرق :

وهي مرتبة أبجديا لهذه الأسماء ، وأماكن ورودها في الكتاب ، ومنها :
آل إبراهيم . . .
الأنصار . . .
البرامكة . . .
بنو حنيفة . . .
الفرس . . .
قريش . . .

من فهرس الكتب :

وفيه يذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ومكان وروده ، ومنها :
الأدب - للجاحظ ٣ / ٢٨ - ٩ .

الأدب الكبير - لابن المقفع ١٢/١ - ٢٠.

البداية والنهاية - لابن كثير

الخيال - للأصمعي

وفيات العيان - لابن خلكان

من فهرس الأشعار :

والترتيب هنا حسب قافية البيت مع ذكر اسم الشاعر ، ثم مكان الورود
ومرتبة أبجديا ، ومنها :

| الباب | القافية | الشاعر | الجزء | الصفحة |
|--------|---------|--------------|-------|--------|
| الهمزة | الحياء | أبو تمام | ٢ | ٤١٤ |
| الهمزة | اللقاء | حسان بن ثابت | ٢ | ٣٦٢ |

من فهرس أنصاف الأبيات :

وهذه مرتبة أبجديا حسب صدر البيت ومثاله :

أحب شيء للإنسان ما منعا . . . للشاعر جرير بن الخطفي .

جـ ٣ ص ١٤١ .

من فهرس الأرجاز :

ومنها في حرف الباء أرجوزة ابن عبدربه التي أولها :

بالله نبداً وبه التمام . . . وباسمه يفتح الكلام .

جـ ٥ ص ٤٣ .

من فهرس الموضوعات نجد :

| | | |
|-------------------------|-----|---------|
| البخلاء | ج ٦ | ص ١٧٤ . |
| البلدان وتفاضلها | ج ٦ | ص ٢٤٧ . |
| الخطابة والخطب والخطباء | ج ٤ | ص ٥٧ . |
| الخلفاء | ج ٤ | ص ٢٤٩ . |
| الطبيب | ج ٦ | ص ٢٧١ . |
| الولاية والعزل | ج ١ | ص ٨١ . |

خطة العرض :

ونعرض في الصفحات القادمة لأجزاء هذا الكتاب القيم بنفس الترتيب الذى وضعه المؤلف والمحققون ، وندرج على نفس النهج الذى سار عليه المؤلف فى انتخاب بعض الموضوعات ، وانتخاب بعض الإنتاج الذى يعرض فى كل موضوع ، فهذا العمل هو اختيار من المختار.

وقد راعيت فى هذا الاختيار الإيجاز غير المخل عند عرض الأفكار الرئيسة للكتاب الأصل ، وعرض عدد قليل من الأمثلة الكثيرة التى يعرضها ، والخروج عن التكرار ، والتغاضى عن غير المؤلف فى أيامنا هذه ، والبعد عن بعض الموضوعات التى رأيت أنها لا تناسب هذا المختصر ، ومنها مثلا كثير من صفات النساء وما كتبه الشعراء فى وصفهن وحسنهن ، ومنها أيضا فصل كامل عن النبيذ وما قيل فيه ، بل وآراء الفقهاء التى تحرم النبيذ وآراء فقهاء آخرين تحلل النبيذ على أنه ليس خمرا . ويعرض الكتاب آراء كل فريق باستفاضة مع حججه وأسانيده وبراهينه . ومن أسماء هؤلاء الفقهاء أسماء ذات وزن كبير وقيمة عظيمة فى كتب الفقه نجدها تناقش هذه الأمور ، وتدافع عن

وجهة نظرها بكل حرية ، والأخرى تدافع عن نظرها بكل تفتح للذهن وقبول للمناقشات الواعية الهادئة البعيدة عن التشنج وتوزيع الاتهامات .

وأتساءل عن مناخ الحرية هذا الذى كان سائدا فى القرن الثالث الهجرى وما قبله ، عندما وضع المؤلف هذا الكتاب . كما أتساءل عن مناخ الاعتدال والتوسط والسمو الذى ساد بلادنا فى أواسط القرن الحالى عندما طبع الكتاب أكثر من عشر طبعات مختلفة ، وكان ينشر ويوزع ويقروء العامة والخاصة .

ولعلى أصل إلى الغاية الأساسية من هذا العمل ، وهى البحث عن الذات وتأكيد الهوية وترسيخ الجذور والتنقيب فى داخلنا من أجل غد أفضل تسمو فيه أرواحنا ، ونتعالى فيه عن صغائر الأمور، ونركز على نقاط القوة الكامنة والمتأصلة فى داخلنا والمترسبة فى وجداننا . .

القاهرة - يناير ١٩٩٥ .

دكتور / ناصر الأنصارى

كتاب اللؤلؤة في السلطان

عن حاجة العمران إلى السلطان يقول المؤلف :

السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذي عليه مدار الدنيا . وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عبادته ، به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، وينقمع ظالمهم ، ويأمن خائفهم .

ويستشهد بآية قرآنية عن صفات السلطان :

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾^(٢) .

ويستشهد بهذا الحديث النبوي : « عدل ساعة في حكومة ، خير من عبادة ستين سنة » .

وحديث نبوي آخر : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .

(١) اللؤلؤة : مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية في شكل حبات ذات بنيان صلد أملس براق ، أحسنها الأبيض الناصع ، والأسود منها نادر . يستخرج من مياه اليابان والخليج العربي . واحدته اللؤلؤة .

(٢) الحج : ٤١ .

ويعرض بعد ذلك للزوم طاعة السلطان :

ويبدأ بالآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١).

وعن المشورة :

- يذكر الحديث النبوي « ماندم من استشار ، ولا خاب من استخار » .
وأمر الله للنبي بالمشاورة مع من هو دونه في الرأي في الآية الكريمة :
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢).

- ومن الأمثلة التي يضر بها المؤلف في المشورة والحزم : قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكأننا ألف حازم .

- ثم يورد بيتين من الشعر في نفس الموضوع :

الرأى كالليل مُسودّ جوانبه والليل لا ينجلى إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح
- وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها .

وتحت عنوان حفظ الأسرار :

- قول الحكماء : صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك .
- قول الحكماء أيضا : ما كنت كاتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك .
- وقول عمرو بن العاص : ما استودعت رجلاً سرا فأفشاه فلمته ، لأنى كنت أضيّق صدرًا منه حين استودعته إياه حتى أفشاه .

(١) النساء : ٥٩ . (٢) آل عمران : ١٥٩ .

- وقال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصندر الذى يستودع السر أضيق

وعن الإذن :

- حديث النبى فى الاستئذان : الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع .

- ورواية عن سعيد بن عتبة بن حصين : أنه كان إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقليل له : إنك لتباعد من الأذن جهدا . قال : لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب .

وعن القضاة :

- قول عمر بن عبدالعزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال ، فقد كُمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل العلم والرأى .

- وقول عمر بن عبدالعزيز أيضا : إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه ، فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا .

- ومن الأمثلة التى يضربها لترك الأخذ بالظواهر عند الحكم ، ما قاله الشعبى : كنت عند شريح القاضى ، إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها وهو غائب وتبكى بكاء شديدا . فقلت أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة . قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها . قال : لا تفعل ، فإن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء ييكون ، وهم له ظالمون .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

- حسن السياسة وإقامة المملكة .

- بسط العدالة ورد المظالم .
- صلاح الرعية بصلاح الإمام .
- قولهم فى الملك وجلسائه ووزرائه .
- صفة الإمام العادل .
- هبة الإمام فى تواضعه .
- حسن السيرة والرفق بالرعية .
- ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم .
- التعرض للسلطان والرد عليه .
- تحلم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجتروا عليه .

* * *

كتاب الفريفة ف الحروب

عن صفة الحروب :

- الحرب رَحَى ، ثفالها ^(٢) الصبر ، وقطبها المكر ، ومدادها الاجتهاد وثقافتها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شىء من هذه ثمرة ، فثمرة الصبر التأيد ، وثمره المكر الظفر ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الأناة اليُمن ، وثمره الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

- قال عمر بن الخطاب لعمر بن معد يكرب : صف لنا الحرب . قال : مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق . من صَبَرَ فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشأ يقول :

(١) الفريد : هو الحَبّ من فضة وغيرها ، يفصل بين حبات الذهب واللؤلؤ فى العقد .
وواحدته الفريفة

(٢) الثَّقال : جلد أُنحوه يوضع تحت الرحى ، يقع عليه الدقيق .

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقييل
— وقيل لعنثة الفوارس : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ، وأوسطها
نجوى ، وآخرها بلوى .

الصبر والإقدام في الحرب :

— يقول المؤلف : جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب كلها في آيتين ، فقال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
تَفْلَحُونَ ﴾ * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ .

— وقول أبي بكر لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة —
قالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره .

ويورد كثيرا من الشعر في الشجاعة في الحرب ، منها هذا البيت :
وإنّا لتستحلى المنايا نفوسنا ونترك أخرى مرة ما ندوقها

المكيدة في الحرب :

— حديث النبي : الحرب خدعة .

— ثم يروى من كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال ؛ يحذر الموائبة
إن قرب ، والغارة إن بعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى .

(١) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ .

وصايا أمراء الجيوش :

- هي كثيرة ومتعددة وطويلة ، نورد منها :

- جزء من وصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص :

. . . وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم . فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم . وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخبر لهم سوابق الخيل . . .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

- المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير .

- الجبن والفرار .

- فضائل الخيل .

- صفة أجياد الخيل .

- سوابق الخيل .

- الحلبة والرهان .

- وصف السلاح .

- النزاع بالقوس .

- مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان .

في مداراة العدو :

- قال أحمد بن يوسف الكاتب : « إذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها » .

التحفظ من العدو إن أبدى لك المودة :

- كلام الحكماء في التحذير من الموتورين والأعداء : احذر الموتور ولا تطمئن إليه . وكن أشد ما تكون حذرا منه ألطف ما يكون بداخله لك ؛ فإنها السلامة من العدو بتباعدك منه ، وانقباضك عنه ، وعن الأنس إليه ، والثقة به تمكنه من مقاتلك .

ومن كتاب للهند في التحذير من العدو :

- الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة إن قرب ، والمعاودة إن بعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والكرّة إن فر .

* * *

٣- كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفياء

- حديث النبي : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .
- وقوله : « أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا » .

في مدح الكرم وذم البخل :

- حديث النبي : - « إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق » .
- وفي الكتاب الآية الكريمة : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾^(٢) .
- وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ؛ فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين : إما لمصلح فلا يقل عليه شيء ، وإما لمفسد فلا يبقى له شيء .

(١) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصرى والأصفر القبرصى . واحدته زبرجدة .

(٢) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ .

الجود مع الإقلال :

— قالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير من الكثير. وقولهم :
جهد المقل أفضل من غنى المكثر .

العطية قبل السؤال :

— من قول الحكماء : السخى من كان مسرورا ببذله ، متبرعا بعطائه ،
لا يهتمس عرض الدنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره . . .

استنجاز المواعيد :

— أنجز حر ما وعد .

— وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويق .

— الوعد السحابة والإنجاز المطر .

— شعر لابن أبي حازم :

إذا قلت فى شىء « نعم » فأتته فإن « نعم » دين على الحر واجب
وإلا فقل « لا » تسترح وترح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب
— ومن كتاب الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كِبَرُ مَقْتِنَا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١) . .

شكر النعمة :

— إن الله أنعم على عباده بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

— مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وانعم على من شكرك .

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

- كفر النعمة يوجب زوالها ، وشكرها يوجب المزيد فيها .

- من حمدك فقد وفاك حق نعمتك .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

- قلة الكرام فى كثرة اللئام .

- من جاد أولا وضمن آخره .

- من ضمن أولا ثم جاد آخره .

- من مدح أميرا فخيبت .

- أجواد أهل الجاهلية .

- أجواد أهل الإسلام .

* * *

-٤- كتاب الجمان ف الوفود

يعدد هذا الكتاب الوفود التي أحصاها ووفدت على النبي وعلى الخلفاء وعلى الملوك، لأنها مقالات فضل ومشاهد حفل، يتخير لها الكلام وتستهدف الألفاظ وتستجزل المعاني، ولا بد للوفاد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوته ينزعون، وعن رأيه يصدرون؛ فهو واحد يعدل قبيلته، ولسان يعرب عن السنة .

ومن هذه الوفود :

- وفود كسرى على العرب .
- وفود حاجب بن زرارة على كسرى .
- وفود أبي سفيان إلى كسرى .
- وفود تومين على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة .

(١) الجمان : حبّ يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ . واحده جمانة .

- وفود عبد المسيح على سطيح .
- وفود همدان على النبی .
- وفود النخع على النبی .
- وفود ثقیف على النبی .
- وفود مذحج على النبی .
- وفود لقیط بن عامر بن المنتفق على النبی .
- وفود قیلة على النبی .
- وغيره كثير . .

* * *

-٥- كتاب المرجانة ف مخاطبة الملوك

يقول الكاتب : إن الكلام قد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة وشافعا مقبولا ، قال تبارك وتعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (٢) .

البيان : ماهية البيان :

- كل شيء كُشِفَ لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل ، فذلك البيان الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ، وَمَنْ به على عباده ، فقال تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ (٣) .

- وقال صلى الله عليه وسلم : - « إن من البيان لسحرا » .

- وقالت العرب « أنفذ من الرمية كلمة فصيحة » .

- وقال سهل بن هارون : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم » .

(١) المرجان : جنس حيوانات بحرية من طائفة المرجانيات ، لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة ، ويكثر فى البحر الأحمر . وأحدثه المرجانة .

(٢) البقرة : ٣٧ . (٣) الرحمن : ١ - ٤

تبجيل الملوك وتعظيمهم :

- قال النبي : - « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

وقال يحيى بن خالد بن برمك : مسألة الملوك عن حالها من سجية النوكى^(١) . فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالنعمة والكرامة . وإذا كان عليك فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة : فإن الملوك لا تسأل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| ولا إذا ملوا يعاتبونا | إن الملوك لا يخاطبونا |
| وفي العُطاس لا يشمتونا | وفي المقال لا ينازعونا |
| يشنى عليهم وييجلوننا | وفي الخطاب لا يكيّفونا |
| فافهم وصاتى لا تكن مجنونا | |

قبلة اليد :

- ذكر عبدالرحمن بن أبى ليلي عن عبدالله عن عمر رضى الله عنهما ، قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم .

- وروى : رأيت رجلاً دخل على علي بن الحسين في المسجد ، فقبل يده ووضعها على عينه ، فلم ينهه .

- قال الشعبي : ركب زيد بن ثابت فأخذ عبدالله بن عباس بركابه ، فقال له : لا تفعل يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال له زيد : أرني يدك . فأخرج إليه يده ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

(١) النوكى : الأحمق .

- كما يذكر من كره من الملوك تقبيل اليد ، ومنهم هشام بن عبد الملك .

حسن التوفيق في مخاطبة الملوك :

- قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة : كيف زمانك يا معن ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنت الزمان ؛ فإن صلحت ، صلح الزمان ، وإن فسدت فسدت الزمان .

التنصل والاعتذار :

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض » .

- واعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى ، فقال : « قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن » .

- وقال شاعر :

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن برّ عندك فيها قال أو فجرا

- وقال آخر :

إذا اعتذر الجاني مما العذر ذنبه وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

فضيلة العفو والترغيب فيه :

- كان للمأمون خادم وهو صاحب وضوئه فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الاناء من يده ، فاغتاظ المأمون عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله يقول : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ .^(١) قال : قد كظمت غيظي عنك . قال : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ .^(٢) قال : قد عفوت عنك . قال : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ .^(٣) قال : اذهب فأنت حر .

(١) ، (٢) ، (٣) آل عمران : ١٣٤ .

— وقال الأحنف بن قيس : أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .
— وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من غضب الله
إذا غضب » .

بُعد الهمة وشرف النفس :

بين الأوس والخزرج وبين تُبّع في الجاهلية :

ومن أعز الناس نفسا وأشرفهم همما الأنصار، وهم الأوس والخزرج (ابنا
قَيْلَة) لم يؤدوا إتاوة قط في الجاهلية إلى الملوك ، وكتب إليهم تُبّع يدعوهم إلى
طاعته ويتوعدهم إن لم يفعلوا أن يغزوهم . فكتبوا إليه :

العبد تُبّع كم يروم قتالنا ومكانه بالمنزل المتدلل
إنا أناس لا ينাম بأرضنا^(١) عض الرسول يبظر أم المرسل
فغزاهم تُبّع أبو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهارا ويخرجون له القرى^(٢) ليلا
فتقدم من قتالهم ورحل عنهم .

* * *

(١) لا ينام بأرضنا ، أى لا يقر لعدونا قرار بيننا ، ولا يغمض له جفن من الخوف .
(٢) فإذا جاء الليل أخرجوا له العشاء ، فقال تبع أبو كرب : ما خلق الله قوما أكرم من
هؤلاء . ورحل عنهم .

كتاب الياقوتة في العلم والأدب

الحض على طلب العلم :

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ،
فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » .

- وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : اجعل العلم مالك والأدب
حليتك .

- وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : قيمة كل إنسان ما يحسن .

- وقال شاعر عن الكتاب :

نعم الأنيس إذا خلوت الكتاب تلهوبه إن خانتك الأحباب
لا مفشيا سرا إذا استودعته وتفاد منه حكمة وصواب

(١) الياقوت : حجر كريم صلب رزين شفاف ، يكون غالبا مشربا بالحمرة ، وأحيانا بالزرقة
أو الصفرة . وهو يعد أكثر المعادن صلابة بعد الماس .

- وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا .

شرائط العلم وما يصلح له :

- قالوا : لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

حفظ العلم واستعماله :

- قال عبدالله بن مسعود : تعلموا ، فإذا علمتم فاعملوا .

- قيل : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .

تحامل الجاهل على العالم :

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويل لعالم أمر من جاهله » .

- وقالوا : لا تناظر جاهلاً .

ومن موضوعات هذا الباب أيضا :

- فضيلة العلم .

- ضبط العلم والتثبت فيه .

- انتحال العلم .

- رفع العلم وقولهم فيه .

- تبجيل العلماء وتعظيمهم .

- عويص المسائل .

- من أخبار العلماء والأدباء .

وفى العقل جاء :

- قيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بها قد كان .

- ومن شعر لمحمد بن عبدالله بن طاهر فى فضل العقل :

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضله وآخر ذى مال وليس له فضل
- وهذا البيت لمحمد بن منذر :

وترى الناس كثيرا فإذا عُدَّ أهلُ العقل قُلُوبا فى العدد

- وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما خلق الله خلقا أحب إليه من العقل » .

- ومن الأقوال غير المنسوبة : عدو عاقل أحب إلّى من صديق جاهل .

الحكمة :

قيل : إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكة فخذوها .

البلاغة وصفاتها :

- سئل بعضهم عن البلاغة ، فقال : إيجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد .

- وقال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ .

- وسمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم ويكثر، فقال : اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

- وقال جعفر بن محمد عليه السلام : سمى البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه .

- وللشاعر :

خير الكلام قليل على كثير دليل

- من وجوه البلاغة قولهم : لكل مقام مقال ، ولكل كلام جواب ، ورب إشارة أبلغ من لفظ .

باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة :

صفة الحلم وما يصلح له :

- قيل لقيس بن عاصم : ما الحلم ؟ قال : أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

- وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة : لا تعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .

- وفي الحديث الشريف : « أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب » .

طبقات الرجال :

- قيل : الرجال ثلاثة : فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه ، ورجل كالدواء لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين ، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

- وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : فرجل يدري ويدري أنه يدري ،
فذلك عالم فسلوه ؛ ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك الناسى فذكروه ؛
ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك الجاهل فعلموه ؛ ورجل لا يدري
ولا يدري أنه لا يدري ؛ فذلك الأحمق فارفضوه .

- وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة : عالم ربانى ،
ومتعلم على سبيل نجاته ، ورعاع همج يميلون مع كل ميل .

الغوغاء :

- غوغاء هى الدَّبَى ، وهى صغار الجراد ، وشبه بها سواد الناس .
- وذكر الغوغاء عند عبدالله بن عباس فقال : ما اجتمعوا قط إلا ضروا ولا
افترقوا إلا نفعوا .

- وقيل له قد علمنا ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم ؟ قال : يذهب الحجام
إلى دكانه ، والحداد إلى أكياره ، وكل صانع إلى صناعته .

الثقلاء :

- قال سهل بن هارون : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك بسؤاله ، فأعره أذنا
صماء وعينا عمياء .

- وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه .

- ويقول الشاعر :

| | |
|---------------------|----------------|
| أنت يا هذا ثقیل | وثقیل وثقیل |
| أنت فى المنظر إنسان | فى المیزان فىل |

التفاؤل بالأسماء :

— سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه ، فقال : ظالم بن سراقه . فقال : تظلم أنت ويسرق أبوك ؟ ولم يستعن به فى شيء .

— ومن تفاؤل النبى صلى الله عليه وسلم بالأسماء أنه قابل أنصاريا فى المدينة كان له غلامان : سالم ويسار . فقال الرسول : سلمت لنا الداريسر .
— ويقال إن العرب تطيرت ^(١) من الغراب للغربة ، إذ كان اسمه مشتقا منها .

الإخوان وأصنافهم :

معاتبة الصديق واستبقاء مودته :

— قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق : الإغضاء عن زلاته ، والتجاوز عن سيئاته . . .

— وقال على رضى الله عنه : لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تجهره دون استعتاب .

مما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة :

— قال على رضى الله عنه : من لانت كلمته وجبت محبته . وأنشد :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما ينبت الود فى فؤاد الكريم

(١) تشاءمت .

- وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث تثبت لك الود في صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

- ولعدى بن زيد :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
- التعجب إلى الناس .
- صفة المحبة .

مواصلتك لمن كان يواصل أباك :

- قال عبدالله بن مسعود : من بر الحى بالميت أن يصل من كان يصل أباه .

الحسد :

- يقال : الحسد أول ذنب عصى الله به في السماء ، وأول ذنب عصى الله به في الأرض . فأما في السماء فحسد إبليس لآدم ، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل .

- وقال سليمان التميمي : الحسد يضعف اليقين ، ويُسهر العين ، ويكثر الهم .

- وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحسد فغم عليه أمرك .

- ولبعض الشعراء في الصبر على حسد الحسود :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
النار تأكل كل بعضها إن لم تجد ما تأكله

باب في الكبر :

— قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى : العظمة إزارى ، والكبرياء ردائي ؛ فمن نازعنى واحدا منها قصمته وأهنته .

— وقال يحيى بن حيان : الشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر.

— وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني : إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذى منه كنت وإليه تصير ، وكيف الكبر مع النطفة التى منها خلقت والرحم التى منها قذفت والغذاء الذى به غذيت .

التسامح مع النعمة والذل مع المصيبة :

— قالوا من أبطره الغنى أذله الفقر .

ما جاء في ذم الحمق والجهل :

— قال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العُجب ، وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن شىء ويأتيه .

— وقيل : خصلتان تقربانك من الأحق : كثرة الالتفات وسرعة الجواب .

— وقيل : لاتصحب الجاهل ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

باب في التواضع :

— قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » .

— وقالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها إلا التواضع .

- وسئل الحسن عن التواضع ، فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك .

باب في الحياء :

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله . الحياء شعبة من الإيمان » .

- وقال عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى يحب الحيى الحليم المتعفف ، ويكره البذىء السائل الملحف » .

- ومكتوب في التوراة : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

باب جامع الآداب :

- يقول المؤلف : أول ما نبدأ به أدب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أدبه لأمته ، ثم الحكماء والعلماء ، وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها ، فقال له ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾^(١) . فنهاه عن التقثير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالين . كما قال عز وجل :

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾^(٢) . وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه جوامع الكلم في كتابه المحكم ، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات منه ، فقال :
﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾^(٣) .

(١) الإسراء : ٢٩ . (٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) الأعراف : ١٩٩ .

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾^(١) .
﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾^(٢) .

باب آداب النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة :

— قال النبي ﷺ : « أوصاني ربي بتسع ، وأنا أوصيكم بها . . أوصاني بالإخلاص في السر والعانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطى من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا » .

— وقال صلى الله عليه وسلم : « نهيتكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » .

باب في آداب الحكماء والعلماء :

في فضيلة الأدب :

— أوصى بعض الحكماء بنبيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويعز بلا عشيرة ، ويكثر الأنصار بغير رزية . فالبسوه حلة وتزينوه حلية ، يؤنسكم في الوحشة ، ويجمع له القلوب المختلفة .

الأدب في الحديث والاستماع :

— قالت الحكماء : رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم ، والإصغاء للمتكلم .

(١) الشعراء : ٢١٥ . (٢) آل عمران : ١٥٩ .

- وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث . وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول . . .

- وقالوا : من حسن الأدب ألا تغالب أحدا على كلامه ، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تريبه أنك تعلمه .

الأدب في المجالسة :

- قال إبراهيم النخعي : إذا دخل أحدكم بيتا ، فليجلس حيث أجلسه أهله .

- وقال سعيد بن العاص : ما مددت رجلى قط أمام جليس .

- وقال أيضا : لجليسى على ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

باب في تأديب الصغير :

- قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

- وقال ابن عباس : من لم يجلس في الصغير حيث يكره ، لم يجلس في الكبير حيث يجب .

- وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

باب في التجارب والتأديب بالزمان :

- قالت الحكماء : كفى بالدهر مؤدبا وبالعقل مرشدا .

- وقال إبراهيم بن شكلة :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

باب فى صحبة الأيام المودة :

- قال الشاعر :

من سابق الدهر كبا كبوة لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا واجرم مع الدهر ما يجرى

باب التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا :

- قالت الحكماء : إياك وما يعتذر منه

- قالوا : من عرض نفسه للتهم ، فلا يأمن من إساءة الظن .

- وقال أرسطوطاليس للإسكندر : إن الناس إذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا ، فاحترس من أن يقولوا تسلم من أين يفعلوا .
- وقال يعقوب الحمدونى :

وقد يرجى لجرح السيف برء لا برء ما جرح اللسان

ومن أبواب هذا الكتاب أيضا :

- باب الأدب فى إصلاح المعيشة .

- باب الأدب فى المؤاكلة .

- أدب الملوك .

- باب الكناية والتعريض .

- الكناية يورى بها عن الكذب والكفر .

- الكناية عن الكذب فى طريق المدح .

- الكناية و التعريض فى طريق الدعابة .

باب فى الصمت :

- قال الشاعر :

الحلم زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوتى مرة لكن ندمت على الكلام مرارا
- وجاء فى الصمت والكلام قولهم : الكلام فى الخير كله أفضل من
الصمت ، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام .

- وفى الفصاحة قالوا : ما رأيت على رجل أجمل من الفصاحة .

- باب فى الإعراب واللحن .

- نوادر الكلام .

- باب نوادر من النحو .

- باب فى الغريب والتعقيب .

باب فى تكليف الرجل ما ليس من طبعه :

- قال الشاعر :

كل امرئ راجع يوما لشيئته وإن تخلّط أخلاقا إلى حين

- باب فى سوء الأدب .

- باب فى الحركة والسكون .

باب فى فضل المال :

- قال الله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾^(١) .

(١) الكهف : ٤٦ .

- صنوف المال .

- تدبير المال .

الإقلال :

- قال أرسطوطاليس : الغنى فى الغربة وطن ، والمقل فى أهله غريب .

- وأخذ الشاعر فقال :

لعمرك ما الغريب بذى التناثى ولكن المقل هو الغريب

إذا ما المرء أعوز ضاق ذرعا بحاجته وأبعده القريب

السؤال :

- قيل سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعط شيئاً ، فقال :

«اللهم إنك بحاجتى عالم لا تُعلم . أنت الذى لا يعوزك نائل ، ولا يحفبك^(١)

سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل . أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً

بألهدى ، وقوة فيما تحب وترضى» . فتبادروا إليه يعطونه . . .

- وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس إنى سائل الله وحده وصائن عرضى عن فلان وعن فل^(٢)

- وقال عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يخيب

الشباب والصحة :

- قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب ، وما

بلغت به ما يستحقه .

(١) الإلحاف والإجهاد . (٢) يعنى فلان .

ـ وقال الأصمعى : أحسن أنماط الشعر المراثى والبكاء على الشباب .

ومن موضوعات هذا الكتاب :

ـ الخضاب .

ـ فضيلة الشيب .

ـ كبر السن .

* * *

-٧- كتاب الجوهرة في الأمثال

يقول المؤلف عن الأمثال : هى وشى الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحكى المعانى ، والتى تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها فى كل زمان وعلى كل لسان . فهى أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة . لم يسر شىء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل : أسير من مثل .

ـ وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

ومن موضوعات هذا الكتاب :

ـ أمثال روتها العرب .

ـ مثل فى الرياء .

(١) الجواهر : الجواهر من الأحجار كل ما يستخرج منه شىء ينتفع به ، وهو النفيس الذى تتخذ منه الفصوص ونحوها . واحدته جوهرة .

من ضرب به المثل من الناس :

- قالت العرب : أسخى من حاتم ، وأشجع من ربيعة^(١) ، وأدهى من قيس ابن زهير ، وأعز من كليب بن وائل ، وأوفى من السموءل ، وأذكى من إياس بن معاوية ، وأسود من قيس بن عاصم ، وأمنع من الحارث بن ظالم ، وأبلغ من سحبان بن وائل ، وأحلم من الأحنف بن قيس ، وأصدق من أبي ذر الغفارى ، وأكذب من مسيلمة الحنفى .

ما تمثلوا به من البهائم :

- قالوا : أشجع من أسد ، وأجبن من الصافر ، وأمضى من ليث ، وأحذر من غراب ، وأبصر من عقاب ، وأزهى من غراب ، وأسمع من فرس ، وأنوم من فهد ، وأعق من ضب

ما ضرب به المثل من غير الحيوان :

- قالوا : أهدى من النجم ، وأصبح من الصبح ، وأسمع من البحر ، وأنور من النهار ، وأمضى من السيل . . .

ثم يورد أمثلة العرب فى عناوين كثيرة منها :

- فى حفظ اللسان .

- إكثار الكلام وما يتقى منه .

- القصد فى المدح .

- صدق الحديث .

- من أصدق مرة وأخطأ مرة .

(١) ربيعة بن مكرم فارس كنانة .

- سوء المسألة وسوء الإجابة .
- من صمت ثم نطق بالفكاهة .
- المعروف بالكذب يصدق مرة .
- المعروف بالصدق يكذب مرة .
- كتمان السر .
- انكشاف الأمر بعد اكتتامة .
- الحديث يتذكر به غيره .
- الاعتذار في غير موضعه .
- التعريض بالكناية .
- الحمد قبل الاختبار .
- إنجاز الوعد .
- التحفظ من المقالة القبيحة .
- الدعاء بالخير .
- اللهو والباطل .
- خلف الوعد .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم :

كما يتحدث الكتاب عن الأمثال الشائعة في :

- في الرجل المبرز في الفضل .
- في الرجل النبيه الذكر .
- الرجل العزيز .
- الرجل الصعب .

- الأريب الداهية .
- السرجل العالم .
- الرجل المجرب .
- الرجل يأخذ حقه قسرا .
- الانتقال من ذل إلى عز .
- تأديب الكبير .
- الأحمق .
- الواهن العزم الضعيف الرأي .

الأمثال في القريبى :

يورد الكتاب أمثالا عن :

- التعاطف من ذوى الأرحام .
- التحنن على الأقارب .
- حماية القريب وإن كان مبغضا .
- إعجاب الرجل بأهله .
- تشبيه الرجل بأبيه .
- تحاسد الأقارب .
- قولهم فى الأولاد .
- الرجل يؤتى من حيث أمن : قالوا : من مأمنه يؤتى الخدر .

الأمثال فى مكارم الأنخلاق :

ويورد أمثالا تحت عناوين عديدة منها :

- الحلم .

- العفو عند المقدرة .
- المساعد وترك الخلاف .
- مداراة الناس .
- مفاكهة الرجل أهله .
- اكتساب الحمد واجتناب الذم .
- الصبر على المصائب .
- الخض على الكرم .
- القناعة والدعة .
- الصبر على المكاره بحمد العواقب .
- الانتفاع بالمال .
- الخض على الكسب .
- الخبير بالأمر البصير به .
- من يوصى غيره وينسى نفسه .
- الأخذ في الأمور بالاحتياط .
- الاستعداد للأمر قبل نزوله .
- مدافعة الرجل عن نفسه .
- حسن التدبير .
- الجدل في طلب الحاجة .
- التأني في الأمر .
- سوء الجوار .

- سوء المرافقة .
- الجشع والطمع .
- الشره للطعام .
- وضع الشيء في غير موضعه .
- الإساءة قبل الإحسان .
- البخل .
- الجبن .
- الجبان يتوعد بما لا يفعل .
- المقادير .
- الرجل يأتي إلى حتفه .
- الظلم .
- سوء معاشرة الناس .

* * *

-٨- كتاب الزمردة في المواعظ والزهد

يقول المؤلف في مقدمة هذا الكتاب :

قد مضى قولنا في الأمثال ، وما تفننوا فيه على كل لسان ، ومع كل زمان .
ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد ورجاله والمشهورين به ، ونذكر
المنتخـل من كلامهم ، والمواعظ التي وَعَظَتْ بها الأنبياء واستخلصها الآباء
للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ومقامات العباد بين أيدي الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى ﴿ ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .^(٢) ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ،
ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العباد بين
أيدي الخلفاء ، ثم قولهم في الزهد والرجال المعروفين به .

(١) الزمرد : حجر أخضر اللون شديد الخضرة شفاف وأشدّه خضرة أجوده وأصفاه .

واحدته زمردة .

(٢) النحل : ١٢٥ .

والموعظة ثقيلة على السمع ، مخرجة على النفس ، بعيدة من القبول
لاعتراضها الشهوة ومضادتها الهوى الذى هو ربيع القلب . ومراد الروح
ومربع اللهو ومسرح الأمانى إلا مَنْ وَعَظَهُ علمه وأرشدته قلبه وأحكمته
تجربته .

- يقول الشاعر :

لن ترجع النفس عن غيها حتى يرى منها لها واعظ
- وقالت الحكماء : السعيد من وعظ بغيره ، لا يعنون من وعظه غيره ،
ولكن من رأى العبر فى غيره فاتعظ بها فى نفسه .

مواعظ الآباء للأبناء :

- قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ، ثم اجلس .
فإن أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا فى غير
ذلك فتخل عنهم وانفض .

- وقوله أيضا : يا بنى لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش فى غير أدب ،
ولا تسأل عما لا يعنيك . . يا بنى إن من يرحم يُرحم ، ومن يصمت
يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يائس ، ومن لا يملك
لسانه يندم .

- وكتب عمر بن الخطاب الى ابنه عبد الله : أما بعد ، فإن من اتقى الله
وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ،
فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا
خير لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .

كيف يكون الزهد :

- قال ابن السماك : - الزاهد الذى إن أصاب الدنيا لم يفرح ، وإن أصابته الدنيا لم يحزن ، يضحك فى الملا ويبكى فى الخلا .

صفة الدنيا :

- قال الشاعر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غرارة قريية العرس من المأتم
- وأحكم بيت قيل فى تمثيل الدنيا قول الشاعر :
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خائنه فروج الأصابع

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

- قولهم فى الخوف .
- قولهم فى الرجاء .
- قولهم فى التوبة .
- المبادرة بالعمل الصالح .
- العجز عن العمل .
- قولهم فى الموت .
- القناعة .
- الرضا بقضاء الله .
- العزلة عن الناس .
- الرياء .
- الدعاء وكيف يكون .

* * *

كتاب الدرّة التعازى والمرائى

يقول المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : قد مضى قولنا فى الزهد ورجاله المشهورين ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النوادب والمرائى والتعازى بأبلغ ما وجدناه من الفطر الذكية والألفاظ الشجية التى ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب . . .

وأبواب هذا الكتاب تبدأ بالقول عند الموت ، ثم الجزع من الموت ، ثم البكاء على الميت ، ثم القول عند المقابر وتأبين الموتى ، ثم ينتقل إلى المرائى وأشهرها ، وفيها أشعار كثيرة ومؤثرة فى جميع المواقف : رثاء الأب ، ورثاء الصديق ، ورثاء الزوجة ، ورثاء الجارية ، ومرائى الأشراف .

ثم ينتقل الكاتب إلى التعازى ويذكر أشهرها .

* * *

(١) الدر : هو اللؤلؤ العظيم الكبير . واحدته درة

كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب

يمهد المؤلف لهذا الكتاب بقوله : قد مضى قولنا في النوادب والمراثي ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النسب الذي هو سبب التعارف وسُلَّم إلى التواصل . به تتعاطف الأرحام ، وعليه تحافظ الأواصر القريية . . . فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس .

ويبدأ بفصل بأصل النسب ، فيقول : إن ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والقبط ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

ثم ينتقل إلى ذكر أصل قريش ونسبها وفضلها ، ثم نسب وفضل بنى هاشم وبنى أمية ، ثم يذكر فضل العرب ونسب أهم قبائلها وبيوتاتها : مضر — نزار — هذيل — كنانة — أسد — تميم — قيس — هوازن — ربيعة — وائل ، وغيرها من قبائل اليمن والجزيرة كلها .

* * *

(١) اليتيمة : هي اللؤلؤة أو الدرة الثمينة التي لا نظير لها .

كتاب العسجدة في كلام العرب

يقول المؤلف في المقدمة . . . نحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب، خاصة إذا كان أشرف الكلام حسبا، وأكثره رونقا، وأحسنه ديباجة، وأقله كلفة، وأوضحه طريقة . . .

ويورد قولهم في بعض الأدعية، وفي بعض المناسبات كالاستطعام، وفي المواعظ والزهد، وفي المدح، وفي الذم، وفي الغزل، وفي الخيل، وفي الغيث، وفي الطعام .

ومن قولهم في النوادر والملح :

نزل عبدالله بن جعفر إلى خيمة اعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها، فذبحتها، وجاءت بها إليه، فقالت : يا أبا جعفر هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي، وأمسها في آناء الليل فكأنها ألمس بنتي زلت عن كبدي، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبدالله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم .

* * *

(١) العسجد : هو الذهب . والقطعة الواحدة منه عسجدة .

كتاب المجنبات في الأجوبة

ويورد الكاتب في هذا الكتاب بعض الأمثلة للحوارات والأسئلة والإجابات
البليغة ذات المغزى وأغلبها في واقعات معينة .

ونكتفى هنا بمثال واحد ، وهو إجابة عقيل بن أبي طالب وقد طلب منه
معاوية أن يلعن على بن أبي طالب : قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن
علياً قد قطعك ووصلتك ، ولا يرضيني منك إلا أن تلعه على المنبر ! قال :
أفعل . فأصعد فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس إن
أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن على بن أبي طالب ، فآلعه ، فعليه لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين . ثم نزل . فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد
من لعنت بيني وبينه . قال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر ، والكلام إلى
نية المتكلم .

* * *

كتاب الواسطة ف الخطب

ونصل إلى وسط العقد وفيه الواسطة ، ويقول المؤلف : ونحن قائلون في الخطب التي يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدتهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم وقامت بها على رؤوس خلفائهم ، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم ، وخطوب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتُخِرت لها المعاني :

اعلم أن جميع الخطب على خبرين منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك موضع يليق به ومكان تحسن فيه . فأول ما نبدأ به خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ثم نذكر بعض خطبهم لجزالة ألفاظهم وبلاغة منطقتهم .

* * *

(١) الواسطة : أى واسطة القلادة أو العقد وهى الجوهرة التى فى الوسط وهى عادة الأجود .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضِلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير . أما بعد ، أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم ، فإنني لأدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم اشهد . فمن كانت أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها . وإن رباً الجاهلية موضوع ، وإن أول رباً أبدأ به رباً عمى العباس بن عبدالمطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعَمْدُ قَوْدٌ ،^(١) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس ، إن الشيطان قد يش أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسيء زيادة في الكفر يضل بها الذين كفروا ، يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله [يوم خلق] السموات والأرض ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

(١) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عَوَار لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا . أيها الناس إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله^(١) ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية [ولا تجوز وصية] في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن خطبة لأبى بكر عندما تولى الخلافة :

أيها الناس ، إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى . أطيعونى ما أطعت الله فيكم . ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .

(١) زيد في بعض الأصول : بعد قوله « الله » وأهل بيتى .

ومن خطبة لعمر بن الخطاب :

أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلائيتكم . وأمروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه فنظر إليه أصحابه فمنعوه ، فقال هو موضعي ولى أن أحكم فيه . فان أخذوا على يده سلم وسلموا وإن تركوه هلك وهلكوا . وهذا مثل ضربته لكم رحمة الله وإياكم .

ثم يورد الكتاب خطبا كثيرة :

لعل بن أبى طالب في مواضع مختلفة ، وكذلك لمعاوية وخلفاء بنى أمية وخطبا لبنى العباس منها خطبة للمنصور بمكة :

«أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأنيده ، وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيته بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلا » . . .

ومن خطبة شهيرة للحجاج قوله :

يأهل العراق يأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء . . .

- ثم خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل .

- ثم خطب الخوارج .

- ثم خطاب النكاح .

-١٤-
كتاب المجنبات الثانية
التوقيعات والفصول والصدور
وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

ويجمع المؤلف في هذا الكتاب كل ما يخص كتابة الرسائل الرسمية أو غير الرسمية ، ومن أمثلة ما احتواه هذا الكتاب : كيف يفتح الخطاب وكيف يختم بحسب شخصية المرسل إليه والمرسل منه ، وكيف وأين يوضع التاريخ وكيف يختم وكيف يعنون ، . ويورد بعض الأمثلة عن الرسائل الهامة في العهود المختلفة . . ثم ينتقل إلى الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الكتاب من البلاغة والأدب والإيجاز ، وما يجوز وما لا يجوز في الكتابة ، وكذلك أنواع الأقلام والخطوط وأنواع الورق والأخبار.

وفي فصول أخرى ، يورد نماذج من توقيعات «تأشيرات» الخلفاء على الرسائل . ويختتم هذا الكتاب بنماذج الكتابة في بعض المناسبات منها : المودة — الزيارة — العتاب — التنصل — التواصل — الشكر — البلاغة — المدح — الذم — الأدب — الاستفسار عن المريض . . ونماذج أخرى من الكتابة إلى الخليفة ، وإلى ولي العهد ، وإلى صاحب الشرطة ، وإلى القاضي . .

ونلتقط فيما يلي بعضاً من هذه النماذج :

في استفتاح الكتاب :

إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم ،
حتى أنزلت سورة هود وفيها ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا ﴾ .^(١) فَكُتِبَ ﴿ بِسْمِ
اللَّهِ ﴾ . ثم نزلت سورة في إسرائيل ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ .^(٢) .
فَكُتِبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ . ثم نزلت سورة النمل ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ،^(٣) فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنة .

في تأريخ الكتاب :

لابد من تأريخ الكتاب ، لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد
الكتاب وبعده إلا بالتاريخ . فإذا أردت أن تؤرخ كتابك ، فانظر إلى ما مضى
من الشهر وما بقي منه فإن كان ما بقي أكثر من النصف كتبت لكذا ليلة
مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان :
مضت ، بقيت . وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرخت إلا ما مضى
من الشهر لأنه معروف ، وما بقي منه مجهول لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .

صفة الكاتب :

قال إبراهيم بن حمد الشيباني : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر
الهامة ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشئائل ،
وحسن الإشارة ، وملاحة الزى ؛ حتى قال البعض تَزَيُّوا بزي الكتاب كان فيهم
أدب الملوك وتواضع السوق .

(١) هود : ٤١ . (٢) الإسراء : ١١٠ . (٣) النمل : ٣٠ .

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه :

قال إبراهيم الشيباني : أول ذلك حسن الخط الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقل ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر .

فما يحتاج إليه الكاتب :

فإذا كان لابد لك من طلب أدوات الكتابة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسفار ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك . وانظر في كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب ، ومعاني العجم ، وحدود المنطقة ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم في حروبهم ، والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، بعد أن تكون متوسطا في علم النحو والغريب . . .

فضائل الكتابة :

قال المؤيد : كُتِبَ الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة . والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهى صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة . . .

ما يجوز في الكتابة وما لايجوز فيها :

قال الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطب كلا على قدر أجهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . . .

تضمين الأسرار في الكتب :

وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب تحب معرفته . وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لى منها أشياء جليلة من تبديل الحروف^(١) وذلك ممكن لكل إنسان . غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبنا حلييا فتكتب به ، فينثر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد الورق فيظهر ما كتبت به إن شاء الله . . . وإن أحببت ألا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السلحفاة .

قولهم في الأقلام :

قالوا : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة . . . وقالوا : القلم يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة . يسكت واقفا وينطق ساكتا على أرض بيانها مظلم وسوادها مضىء . وقال أرسطوطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم .

قولهم في الحبر :

قال بعض الكتاب : عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر . . وقال الشاعر :

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

صدور الكتب :

ومن أمثلة استفتاح الكتب بحسب شخصية المرسل إليه ما يلي :
- إلى خليفة : وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده ، وأيده وأصلح به وعلى يديه .

(١) نوع من الشفرة .

- إلى ولى عهد : متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه
فعل الجميل ، وأنس بولايته المؤمنين .

- إلى ولى شرطة : أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك
بالتثبت ووفقك للصواب .

- إلى قاض : أهتمك الله الحجة ، وأيدك بالتثبت ، ورد بك الحقوق .

كتاب العسجدة الثانية الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

يستعرض المؤلف في هذا الجزء التاريخ الإسلامى ، منذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى سنة ٣٣٠ هـ . من خلال الخلفاء والدول الإسلامية المختلفة ، مروراً بعصر الخلفاء الراشدين الأربعة ثم العصر الأموى فالعصر العباسى . كما أنه يذكر أخبار خلفاء بنى أمية فى الأندلس فى هذه الفترة أيضاً . ويبدأ بذكر اسم الخليفة أو الأمير ونسبه وكنيته وصفاته وفضائله وتاريخ مولده وتاريخ توليه السلطة وكيفية ذلك وتاريخ تركه للسلطة أو وفاته ، ويذكر كيفية انتقال الخلافة إلى سلفه .

ومن بين ما يעדده المؤلف كبارَ معاونين هؤلاء الخلفاء ، سواء من الوزراء أو الحجاب أو الكتاب أو أصحاب الشرطة أو القضاة وولاة الأمصار والشغور . وهذا الكتاب قد يفيد الدارسين المتعمقين فى التاريخ العربى ، والذي كان يعيه الأسماء الكثيرة لأولئك الذين تولوا المناصب المشار إليها فى كل حقبة تاريخية .

* * *

-١٦-
كتاب البيهقي الثانية

أخبار زياد والحجاج
والطالبين والبرامكة

وهذا الكتاب أيضا يتعلق بالتاريخ المحض لدولة الخلافة العباسية في بغداد ، وفيه يستعرض أخبار خلفاء هذه الدولة ، ويعرض لأهم أحداثها وعلى الأخص أزمة البرامكة من حيث نشأتها وأسبابها .

وهو أيضا مكتظ بالأسماء والأنساب التي لا تعنى القارئ العادى في عصرنا ، بل قد تفيد المتخصص .

ونسوق فيما يلى مثالا واحدا من هذا الباب ، وهو وارد تحت عنوان :

ذكر خلفاء بنى العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم :

—أبو العباس السفاح :

ولد أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب مُستَهْلَ رجب سنة أربع ومائة ، وبُويِعَ له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفي بالأنبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين

ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر . وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان .

وكان أبيض طويلاً أقنى الأنف حسن الوجه حسن اللحية جعدها ، نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » ، وصلى عليه عمه عيسى بن علي . ورزق من الولد اثنين : محمد ، من أم ولد ، ومات صغيراً ؛ وابنة سماها ريطة ، من أم ولد ، تزوجها المهدي وأولدها علياً وعبيد الله .

ووزر له أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، وهو أول من لقب بالوزارة . فقتله أبو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك إلى آخر أيامه ، وكان حاجبه أبا غسان صالح بن الهيثم ، وقاضيه يحيى بن سعيد الأنصاري .

- هارون الرشيد :

ثم بويع أبو محمد هارون الرشيد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المهدي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة . وفي هذه الليلة ولد عبد الله المأمون . ولم يكن في سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفي فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها . وكان مولد الرشيد في محرم سنة ثمان وأربعين ومائة . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، ودفن بطوس^(١) وصلى عليه ابنه صالح ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً . وكانت سنه ستاً وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما أفضت إليه الخلافة ، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ، والعباس بن محمد عم أبيه ، وعبد الصمد بن علي عم جده ؛ فعبد الصمد عم العباس ، والعباس عم سليمان ، وسليمان عم هارون .

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ .

وكان الرشيد أبيض جسيما طويلا جميلا . قد وَخِطَه الشيب . نقش خاتمه
« لا إله الا الله » ، وخاتم آخر « كن من الله على حذر » . وتزوج زبيدة
واسمها أمة العزيز ، وتكنى أم الواحد ، وزبيدة لقب لها . وهى ابنة جعفر
المنصور، أولدها محمدا الأمين ؛ ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون ؛ ثم ماردة
أولدها محمدا المعتصم ؛ ثم نادرة ولدت له صالحا ؛ ثم شعبا ولدت له خديجة
ولبابة ؛ ثم سريرة ولدت محمدا ؛ ثم بربرية ولدت له أبا عيسى والقاسم وهو
المؤمن ؛ ثم سكينه ؛ ثم حث فولدت له إسحاق وأبا العباس .

ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى وقتله ، ثم الفضل بن الربيع
واستحجب بشر بن ميمون ، مولاه ؛ ثم محمد بن خالد بن برمك .
واستخلف على قضاء الجانب الغربى نوح بن دراج وحفص بن غياث .

* * *

-١٧-
كتاب الدرّة الثانیة
ف
أیام العرب ووقائعهم

يقول المؤلف في تقديمه لهذا الباب :

... ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في أيام العرب ووقائعهم : إنها
مآثر الجاهلية ومكارم الأخلاق السنية . قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتكم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد
الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا . وقال بعضهم : وددت أن لنا
مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية ، ألا ترى أن عنزة
الفوارس جاهلي لادين له ، والحسن بن هانئ إسلامي له دين ، فمنع عنزة
كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانئ دينه ؛ فقال عنزة في ذلك :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى حتى يُوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانئ :

كان الشباب مطية الجهل ممسن الضحكات والمزل
والباعثي والناس قد رقدوا حتى أتيت حليلة البعل

ويسوق المؤلف الكثير من الأمثلة للحروب التى وقعت بين مختلف القبائل فى الجاهلية ، وهى كثيرة ، حتى إن هذا الباب يقع فى حوالى مائة وأربعين صفحة . ومن الصعب على القارئ المعاصر أن يلم بها ، نظرا لغموضها بالنسبة له .

ويبدأ هذا الفصل بحروب قيس فى الجاهلية ، وهى تزيد على عشرين موقعة منها : حرب داحس والغبراء ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدير قلهى ، ثم حروب قيس وكنانة ، ثم حروب قيس وتميم ، ثم أيام بكر على تميم ، ثم حرب البسوس ، ثم أيام الفجار^(١) ، حيث يذكر بداية الموقعة فى كل يوم وسبب نشوب الخلاف وكيف ينقلب إلى موقعة حربية وكيفية سير الموقعة ونهايتها .

ومن أمثلة هذا الباب :

يوم الفجار الثانى :

كان الفجار الثانى بين قريش وهوازن ، وكان الذى هاجمه أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بنى عامر بن صعصعة ، وضيئة حُسانة ، بسوق عكاظ . وقالوا : بل أطاف بها شباب من بنى كنانة وعليها بُرقع وهى فى درع فضل ، فأعجبهم ما رأوا من هيئتها ، فسألوها أن تسفر عن وجهها . فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها فشد دبر درعها^(٢) بشوكة إلى ظهرها ، وهى لاتدرى ، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها . فضحكوا وقالوا : منعنا النظر إلى وجهها ، فقد رأينا دبرها . فنادت المرأة : يالعامر .

(١) أيام الفجار : الأيام التى كانت فى الأشهر الحرم ، وهى الشهور التى يحرمونها ، ففجروا فيها .

(٢) درعها : ذيلها .

فتحاور الناس ، وكان بينهم قتال ودماء ، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

يوم الفجار الثالث :

وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذى هاجه أن رجلاً من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية ، فأعدم الكنانى . فوافى النصرى بسوق عكاظ بقرد فأوقفه فى سوق عكاظ ، وقال : من يبيعنى مثل هذا بما لى على فلان ؟ حتى أكثر فى ذلك . وإنما فعل ذلك النصرى تعبيراً للكنانى ولقومه . فمر به رجل من بنى كنانة فضرب القرد بسيفه فقتله .

فهتف النصرى : يا لهوازن ، وهتف الكنانى : يا لكنانة . فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم رأوا الخطب يسيراً فراجعوا ، ولم يفقم الشر بينهم .

يوم الفجار الآخر :

وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، فأبت أن تقتل بعروة البراض ، لأن عروة سيد هوازن ، والبراض خليف من بنى كنانة ، أرادوا أن يقتلوا به سيداً من قريش . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، بست وعشرين سنة ، وقد شهدها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار ، وأنا ابن أربع عشرة سنة — يعنى أنا ولهم النبل — وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة ^(١) فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يُجيرها

(١) لطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة (ج) لطائم .

له حتى تباع هناك ، ويشترى له بثمانها من آدم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذى القعدة ، فيتسوقون الى حضور الحج ، ثم يحجون . وكانت الأشهر الحرم أربعة أشهر : ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب . وعكاظ : بين نخل والطائف ، وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال . وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذى القعدة إلى وقت الحج ، ويأمن بعضها بعضا . فجهز النعمان عير اللطيمة ، ثم قال : من يحيرها ؟ فقال البراض بن قيس النمرى : أنا أجيرها على بنى كنانة . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يحيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال وهو يؤمئذ رجل هوازن : أكلب خليع يحيرها لك ؟ أبيت اللعن ، أنا أجيرها لك على أهل الشيخ والقيصوم^(١) من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعلى بنى كنانة تحيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم . فدفعها النعمان إلى عروة . فخرج بها وتبعه البراض ، وعروة لا يخشى منه شيئا لأنه كان بين ظهرائى قومه من غطفان إلى جانب فذك^(٢) إلى أرض يقال لها أواره^(٣) فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ، ثم قام فنام . فجاء البراض ، فدخل عليه فناشده عروة ، وقال : كانت منى زلة ، وكانت الفعلة منى ضلة . فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة منى ضلة
هلا على غيرى جعلت الزلة
فسوف أعلو بالحسام القلة .

(١) أهل الشيخ والقيصوم : الشيخ نبات سهلى يتخذ من بعضه المكانس . القيصوم نبات سهلى من المرار . ويريد بأهل الشيخ والقيصوم العرب جميعا .

(٢) فذك : قرية بالحجاز .

(٣) أواره : بالضم : فى بلاد بنى تميم

-١٨- كتاب الزمرّة الثانية فضائل الشعر ومخارجه

يقول الكاتب في مقدمته : ونحن قائلون في فضائل الشعر ومقاطعته ومخارجه ، إذ كان الشعر ديوان العرب خاصة ، والمنظوم من كلامها ، والمقيّد لأيامها ، والشاهد على أحكامها ، حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بهاء الذهب في القباطى المدرجة وعلقتها بين أشعار الكعبة ؛ فمنه يقال : مُذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير . والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات .

المعلقات السبع هي :

- لامرئ القيس : قفّا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل .
- لزهير : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم .
- ولطرفة : لخولة أطلال ببرقة تُهمد .
- ولعنتره : يا دار عبلة بالجواء تكلمى .
- لعمر بن كلثوم : ألا هُبّى بصحنك فاصبحينا .
- للبيد : عفت الديار محلها فمقامها .
- للحارث بن حلّزة : آذنتنا بينها أسماء .

اختلاف الناس في أشعر الشعراء :

- قال البعض امرؤ القيس ، وقال البعض النابغة الذبياني ، وقالوا زهير بن أبي سلمى .

- وقد سئل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : النابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وجرير إذا غضب .

- وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم في قصيدته : « لخلوة أطلال بريقة ثمهد » .

وفيها يقول :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزود
- واختلف الناس في أشعر نصف بيت قالته العرب ؛ فقال بعضهم قول أبي ذؤيب الهذلي : والدهر ليس بمعتب من يجزع
- وقال بعضهم : قول حميد بن ثور الهلالي : توكل بالأدنى وإن جل مايمضى .

- وقال بعضهم قول زُمَيْل بن أبرد : ومن يك رهنا للحوادث يغلق .

أحكم بيت وأفخر بيت قالته العرب :

لحسان بن ثابت الأنصاري أفخر بيت :

وليوم بدر إذ يُرَدُّ وجوههم جبريلُ تحت لوائنا ومحمد
وله أيضا أحكم بيت :

وإن امرأ أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد
وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبى إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثال

ولما قال جرير نفسه هذا البيت قال : والله لقد هجوتُ بنى تغلب لو
طعنوا في استاهم بالرماح ما حكوها .

ويقال إن أبدع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب الهذلي :
والنفس راغبة إذا رَغَّبْتُها وإذا تُرِدُّ إلى قليل تقنع
ويقال إن أصدق بيت قالته العرب قول كبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

— ثم يورد المؤلف بعض نماذج من الشعر والمناسبات التي قيلت فيه . فمن
شعر الغزل إلى شعر المدح إلى شعر الهجاء ، ثم باب من أخبار الشعراء وباب
من نوادرهم .

* * *

-١٩-
كتاب الجوهرة الثانية
في
أعراض الشعر وعلل القوافي

.. أول ما ينبغي لصاحب العروض أنه يتدبّر به معرفة الساكن والمتحرك ، فإن الكلام كله لا يعدو أن يكون ساكنا أو متحركا .

... واعلم أنه مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء ، وهي :
فاعلن فعولن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن متفاعلتن مفعولات .

ويورد المؤلف في هذا الكتاب أمثلة ونماذج لمختلف أنواع العروض .

* * *

-٢٠-
كتاب الياقوتة الثانية
في
الألحان «أو الغناء»
واختلاف الناس فيه

علم الغناء اختلف الناس فيه بين كاره ومستحسن .

وقد كرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلاً من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس . .
وفي فضل الصوت الحسن يقول :

— زعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى في الجسم ويجرى في العروق ، فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهش له النفس ، وتهتز الجوارح ، وتخف الحركات

— وزعمت الفلاسفة أن النغم فضلٌ بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجِه ، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيح لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه الروح . ولذلك ، قال أفلاطون : لا ينبغي أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضاً ، ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم ؟ !

وليس من أحد كائنا من كان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه . ولو لم يكن من فضل الصوت إلا أنه ليس في الأرض لذة تكتسب من مأكّل أو ملبس أو مشرب أو نكاح أو صيد إلا وفيها معاناة على البدن وتعب الجوارح ، ما خلا السماع ، فإنه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح .

وقد يُتوصل بالألحان الحسان إلى خيري الدنيا والآخرة . فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف ، وصلة الأرحام ، والذب عن الأعراض ، والتجاوز عن الذنوب . وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ، ويرقق القلب من قسوته ، ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره .

وعن أثر الغناء في النفوس يقول :

هل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن ؟ لاسيما إذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر :

| | |
|-------------|--------------|
| رب سماع حسن | سمعته من حسن |
| مقرب من فرح | مبعد من حزن |

وعن اختلاف الناس في الغناء :

اختلف الناس في الغناء ؛ فأجازه عامة أهل الحجاز ، وكرهه عامة أهل العراق . فمن حجة من أجازه أن أصله الشعر الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وحض عليه وندب أصحابه إليه . . وأن الشعر هو ديوان العرب ومقيد أحكامها والشاهد على مكارمها ، وأكثر أشعار حسان بن ثابت يغنى بها .

ومن قول عائشة رضي الله عنها : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم .

-٢١- كتاب المرحبانة الثانية في النساء وصفاتهن

في حكمة لسليمان بن داود عليهما السلام :

«المرأة العاقلة تبنى ، بيتها والسفيهة تهدمه» .

وعن الأصمعي عن رجل يتشاور في أمر زواج ابنته قال :

أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مقلا ، فخطب إليه مكثراً من مال مقل من عقل . فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يزيد فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلاً ديناً ؛ فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوجه فإن ماله لها وحمقه على نفسه . فزوجه فرأى منه مايكره في نفسه وابنته ، فقال :

لهفى إذ عصيت أبا زيد ، ولهفى إذ أطعت أبا العلاء .

وكانت هفوة من غير ريح وكانت زلفة من غير ماء

بين زوجتين قديمة وحديثة :

تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول :

وما تستوى الرِّجلان رجلٌ صحيحةٌ ورجل رمى فيها الزمان فشلت
ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى وثوب بأيدي البائعين جديد
فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :
نَقْلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يآلفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل
في صفات النساء وأخلاقهن :

- قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطيب حيث
يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليم بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليست له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب
- وقال عبد الملك بن مروان :

من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ، ومن أرادها للولد
فليتخذها فارسية ، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية .

- وقال الأصمعي : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رءوف
الأبطال كالأعجمية .

- ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة ، فقال : ما هذه
الجماعة ؟ فقالوا : على امرأة تدل على النساء . فأتاها فقال لها : ابغني امرأة .
قالت : صفها لي . قال :

أريدها بكرًا كثيب أو ثيبًا كبكر ، حلوة من قريب فخمة من بعيد ، كانت فى نعمة فأصابتهفا فاقة ، فمعها أدب النعمة وذل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

قالت : قد أصبتهفا لك . قال : وأين هى ؟

قالت : فى الرفيق الأعلى من الجنة ، فاعمل لها !

— وسئل أعرابى عن النساء فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت . التى إذا غضبت حلمت وإذا ضحككت تبسمت ، وإذا صنعت شيئًا جوّدت . التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها . العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

صفة المرأة السوء :

— قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إياكم وخضراء الدمن» يريد الجارية الحسنة فى منبت السوء .

— وفى حكمة داود : المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه .

— وقال محمد عبد السلام الحُشنى :

إياك وكل امرأة مذكرة منكرا ، حديدة العرقوب ، بادية الظنوب^(١) ، متنفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلمها ، ولا تعين بعلمها على الزمان ، ليس فى قلبها له رأفة ، ولا عليه منه مخافة . إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحكك بكت ، وإن بكى ضحكك ، وإن طلقها كانت حريبتها ، وإن أمسكها كانت مصيبتها . سعاء ورهاء ، كثرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ، تأكل لما ،

(١) حرف الساق من الامام

وتوسع ذمها . صخوب غضوب ، بزية دنية ، ليس يُطفأ نارها ، ولا يهدأ
إعصارها . ضيقة الباع ، مهتوكة القناع . صبيها مهزول ، وبيتها مزبول . إذا
حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة على
بابها . تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة . قد ذل لسانها بالزور ، وسال
دمعها بالفجور .

-٢٢-
كتاب الجمان الثانية
المتنبئين والمحرورين
والبخلاء والطفيليين

وفي هذا الباب :

- أخبار مدعى النبوة .
- أخبار المحرورين والمجانين .
- أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين .
- شعراء المجانين .

أخبار البخلاء :

ومنها أن من رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم ، وهو الذى قال : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى ، واستهلوا بشتى ، حتى يُنشر عنهم ذلك فى الآفاق ، حتى لايمتد إلى أمل أمل ، ولا ينشط نحوى رجاء راج .

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك . فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟ قال : علامة ذلك أن أقول : يا غلام هات الغداء .

طعام البخلاء :

قال الأصمعي :

كان المروزي يقول لزواره إذا أتوه : هل تغديتم اليوم ؟ فإن قالوا : نعم ، قال : والله لولا أنكم تغديتم لأطعمتكم لونا ما أكلتم مثله ، ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم .

وإن قالوا : لا ، قال : والله لولا أنكم لم تتغدوا لسقيتكم أقداحا من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله . فلا يصير في أيديهم منه شيء .

* * *

-٢٣-
كتاب الزبرجدة الثانية
ف
بيان طبائع الإنسان
وسائر الحيوان وتفاضل البلدان

وكما هو واضح من عنوان هذا الجزء ، فإنه يجمع موضوعات شتى لا ترابط بينها ، فهو يتحدث عن ثلاثة أنواع من النفس :

النفس الملكية ، ثم النفس الغضبية ، والنفس البهيمية .

ثم ينتقل إلى البنيان والدور ، ثم ينتقل إلى الزى واللباس ، ثم إلى التزين والتطيب ، ثم إلى حيوانات الركوب من خيل وبغال وحمير ، ثم الحيوانات والطيور الأخرى والمصايد .

وينتقل بعد ذلك إلى البلدان التي أحيط بها علما ، وفضل كل منها من الجزيرة العربية إلى الشامات والعراقيين وفارس وخراسان ومصر والمسجد الحرام وصفة الكعبة والمسجد النبوي وبيت المقدس . وينتهي هذا الكتاب بعناوين أخرى متباينة وهي :

نتف من الأخبار — نتف من الطب — التعويد والرقي — الحجامة والكي — السم والسحر — العين ، ويختم هذا الجزء بالهدايا وما قيل فيها من أقوال وأشعار .

ومن أمثلة اختيارات الكاتب في هذا الجزء :

في البنيان :

قال الحكماء : لذة الطعام والشراب ساعة ، ولذة الثوب يوم ، ولذة المرأة شهر ، ولذة البنيان دهر .

في لباس الصوف :

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، وإلى خراسان ، وعليه مِدرعة^(١) صوف ، فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكت عنه ، فقال له قتيبة : أكلمك ، أفلا تحببني ؟ قال : أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسي ، أو أقول فقرا فأشكو ربي .

وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد أحببتهم أن يطلع الناس عليه ، ولئن كان مخالفا لها لقد هلكتم .
وقال محمود الوراق :

تصوف كى يقال له أمين وما يعنى التصوف والأمانة
ولم يرد الإله به ولكسن أراد به الطريق إلى الخيانة
التزين والتطيب :

قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : مالى أراك شعشاء مرهء سلتاء^(٢) ؟

وفي البغال :

عاتب الفضل بن الربيع بعض الهاشميين في ركوب بغلة فقال : هذا مركب تطامن عن خيلاء الفرس ، وارتفع عن ذلة الحمير ، وخير الأمور أوسطها .

(١) نوع من الثياب .

(٢) الشعشاء التى لا تذهن ، والمرهء التى لا تكتحل ، والسلتاء التى لا تختضب .

وفي الخيل :

أحالنا المؤلف إلى ما سبق أن عرضه عن صفات الخيل وفضائلها في كتاب الحروب .

وفي الحمير :

قال جرير في ذمها : لا تركب حمارا، إن كان حديدا أتعب يديك ، وإن كان بليدا أتعب رجلك .

في الشامات :

أول حد الشام من طريق مصر أمج ثم يليها غزة ثم الرملة رملة فلسطين ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان وبها بيت المقدس ، وفلسطين هي الشام الأولى . ثم الشام الثانية هي الأردن ومدينتها العظمى طبرية وهي التي على شاطئ البحيرة ، والغور واليرموك . وبيسان فيما بين فلسطين والأردن ، ثم الشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ، ومن سواحلها طرابلس . ثم الشام الرابعة وهي أرض حمص .

ثم الشام الخامسة وهي قنسرين ومدينتها العظمى حلب ، وبين قنسرين وحلب أربعة فراسخ ، وساحلها أنطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر ، وفي داخلها البساتين والأنهار والمزارع ، وهي مدينة حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وبها مسجد ينسب إليه .

العراقان :

العراقان هي البصرة والكوفة . ومما أحدث الخلفاء بالعراق خلفاء بنى هاشم من المدن الأنبار ، وهي مدينة أبي العباس أول من ولي الخلافة من بنى

هاشم ، ابتناها واتخذها دارا لخلافته . ثم ولى أخوه أبو جعفر المنصور فانتقل إلى بغداد وابتنى بها الكرخ ، وهى مدينة السلام فى جوف بغداد ، وهى دار خلافة بنى هاشم ، حتى قام المعتصم محمد بن هارون فانتقل منها إلى سامرا ، وتفسير سامرا أنه سام بن نوح عليه السلام بناها وإنما هو بالسريانية .

مصر :

من ناحية الشام الفسطاط ، وهى مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما العسكر حيث السلطان .

وعين شمس بها منبر ، وهى كانت مدينة فرعون وفيها بنيانه قائم . والفرما لها منبر ، والعريش الذى يقال له عريش مصر له منبر ، وهى آخر مصر وأول الشام . ومن أسفل الأرض بوصير ولها منبر ، وتيس لها منبر وإليها تنسب الثياب التنيسية وبها طراز للخليفة .

وشطا لها منبر وإليها ينسب الشطوى ، وديق لها منبر وإليها ينسب الديقى من الثياب . والإسكندرية لها منبر . من ناحية الحجاز القلزم لها منبر وأبلة لها منبر . ومن ناحية الصعيد القس وإليها ينسب القسى من الثياب والصفن وإليها تنسب الأكسية الصفنية الحمر .

ودلاص لها منبر وهى مجمع سحرة مصر ، والفيوم مدينة لها منبر تؤدى كل يوم ألف دينار وخلف ذلك بوق وبها تكون معادن الذهب والجواهر والزبرجد .

فى علل تسمية الشهور :

عن العتبى قال : سمي المحرم لأنه جعل حراما وصفر لإصفار مكة من

أهلها ، والربيعان للخصب فيها ، والجهاديان لجمود الماء فيهما من شدة البرد ،
ورجب لترجييب^(١) العرب أستها . وشعبان لأنه شعب^(٢) بين رجب ورمضان .
ورمضان لإرماض الأرض من الحر وشوال لأن الإبل شالت بأذناها فيه
لحملها . وذو القعدة لقعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج وذو الحجة
للحج .

عن عدد النبيين :

من حديث أبي رافع عن أبي ذر ، قال : قلت ، يا رسول الله كم عدد
النبيين؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا .

ومن نتف الطب :

- في الزبيب : قول النبي عليه الصلاة والسلام : «كلوا فنعم الطعام
الزبيب : يذهب النصب ، ويشد العصب ، ويطفئ الغضب ، ويصفى
اللون ، ويطيب النكهة ، ويرضى الرب » .

- وفي السفرجل : قوله عليه الصلاة والسلام : «إنها تشد القلب ، وتطيب
النفس ، وتذهب بطخاء^(٣) الصدر» .

- وفي العلاج :

قوله عليه الصلاة والسلام : - «أربع من النثر^(٤) : شرب العسل نشرة ،
والنظر إلى الماء نشرة ، والنظر إلى الخضرة نشرة ، والنظر إلى الوجه الحسن
نشرة» .

- في مكث الطعام :

(١) أى تعظيم . (٢) أى فرق وفصل .

(٣) أى الثقل والكرب . (٤) أى العلاج .

يقول الأطباء : إذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر . وإذا أقام في الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر .

- في العين :

تقول العرب : إن العين تسرع بالإبل إلى أوصامها ، ^(١) وبالرجال إلى أسقامها .

* * *

(١) أوصامها : أى أمراضها .

-٢٤- كتاب الفريضة الثانية في الطعام والشراب

يقول الكاتب : الطعام والشراب هما قوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح .
وقد قال المسيح عليه السلام في الماء : هذا أبى ، وفي الخبز : هذا أمى . يريد
أنهما يغذيان الأبدان كما يغذيها الأبوان .

وهذا الكتاب جزآن : جزء في الطعام وجزء في الشراب . فالذى في الطعام
منهما متقص جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام من المنافع والمضار ،
وتعاهد الأبدان بها يصلحها من ذلك في أوقاته وضروب حالاته ، واختلاف
الأغذية مع اختلاف الأزمنة بما لا يخلى المعدة وما لا يكظمها ، فقد جعل الله
لكل شىء قدرا .

والذى في الشراب منها مشتمل على صنوف الأشربة ، وما اختلف الناس
فيه من الأنبذة ، ومحمود ذلك ومذمومه ، فإننا نجد النبيذ قد أجازاه قوم صالحون
وكرهه قوم صالحون .

باب آداب الأكل والطعام :

— قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأكل في السوق دناءة » .

- قال مسلمة بن عبد الملك لأليون، ملك الروم : «ماتعدون الأحمق فيكم؟» قال : الذى يملأ بطنه من كل ما وجد .

- رأى أعرابى رجلاً سمينا فقال له : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

- قال الحجاج بن يوسف لطيبه : صف لى صفة آخذ بها نفسى ولا أعدوها .

قال له : لا تتزوج من النساء إلا شابة ، ولا تأكل اللحم إلا فتيا ولا تأكله حتى تنعم طبخه ، ولا تشرب دواء إلا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ، ولا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه ، وكل ما أحببت من الطعام واشرب عليه ، فإذا شربت فلا تأكل . ولا تحبس الغائط ولا البول . وإذا أكلت بالنهار فتم . وإذا أكلت بالليل فامش ولو مائة خطوة .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضًا :

- ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية .
- الحركة والنوم مع الطعام .
- تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر .
- الأوقات التى يصلح فيها الطعام .
- الأطعمة اللطيفة .
- الأطعمة الغليظة .
- الأطعمة الحارة .
- الأطعمة الباردة .
- الأطعمة اليابسة .

- الأظعمة الحارة .
- الأظعمة الباردة .
- الأظعمة اليباسة .
- الأظعمة الرطبة .
- الأظعمة السريعة الانهضام .
- الأظعمة البطيئة الانهضام .
- الأظعمة الضارة بالمعدة .
- الأظعمة التى تفسد فى المعدة .
- الأظعمة المليئة المسملة للبطن .
- الأظعمة التى تحبس البطن .
- الأظعمة التى تنفخ البطن .
- ما يذهب النفخ من الأظعمة .
- الخمر المحرمة فى الكتاب .
- آفات الخمر .
- الفرق بين الخمر والنبيذ .

* * *

-٢٥-
كتاب اللؤلؤة الثانية

الفكاهات والملح

يقول المؤلف ابن عبد ربه : نحن قائلون بما أَلْفناه في كتابنا هذا من الفكاهات والملح التي هي نزهة النفس ، ورييع القلب ، ومرتع السمع ، ومجلب الراحة ، ومعدن السرور .

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت » .

- وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خير فيمن لا يطرب »

- وقال : « كل كريم طروب »

- وفي بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين ، وكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله . فقال شمعون ليوحنا : ما أكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك ؟ فقال له يوحنا : ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك ؟ فأوصى الله إلى المسيح : أن أحب السيرتين إلى سيرة يوحنا .

من نوادر أشعب :

ساوم أشعب رجلاً بقوس ، فقال له : أقل ثمنها دينار . قال أشعب : والله

لو أنك إذا رميت بها طائرا في جو السماء ، فوق مشويا بين رغيفين ، ما
اشتريتها منك بدينار أبدا .

وضرب الحجاج أعرابيا سبعة سوط وهو يقول عند كل سوط : شكرا لك
يا رب . فلقية أشعب ، فقال : أتدرى لم ضربك الحجاج سبعة سوط؟
قال : ما أدري . قال : لكثرة شكرك لله . يقول الله : ﴿ لئن شكرتم
لأزيدنكم ﴾^(١) .

* * *

(١) إبراهيم : ٧

الفهرس

الصفحة

الموضوع

- مقدمة ٥
- كتاب اللؤلؤة فى السلطان ٢٣
- كتاب الفريدة فى الحروب ٢٧
- كتاب الزبرجدة فى الأجواد والأصفياء ٣١
- كتاب الجمانة فى الوفود ٣٤
- كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك ٣٦
- كتاب الياقوتة فى العلم والأدب ٤٠
- كتاب الجوهرة فى الأمثال ٥٥
- كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ٦١
- كتاب الدرة فى التعازى والمرائى ٦٤
- كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ٦٥
- كتاب العسجدة فى كلام العرب ٦٦
- كتاب المجنبه فى الأجوبة ٦٧
- كتاب الواسطة فى الخطب ٦٨
- كتاب المجنبه الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأدوات
- الكتابة وأخبار الكتاب ٧٢

- ٧٧ - كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم
- كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين
والبرامكة ٧٨
- كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم ٨١
- كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومخارجه ٨٥
- كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى ٨٨
- كتاب الياقوتة الثانية فى الألحان (أو الغناء) واختلاف
الناس فيه ٨٩
- كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن ٩١
- كتاب الجمانة الثانية فى المتنبيين والمحرورين والبخلاء
والطفيليين ٩٥
- كتاب الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان
وتفاضل البلدان ٩٧
- كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب ١٠٣
- كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح ١٠٦

للمؤلف :

- موسوعة خكام مصر من الفراعنة إلى اليوم .
- دار الشروق - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧ الطبعة الخامسة ١٩٩٤ .
- تاريخ أنظمة الشرطة في مصر .
- دار الشروق - القاهرة ١٩٩٠ .
- بيلوجرافيا دراسات الأمن العام والشرطة . والعلوم الجنائية .
- بالاشتراك مع الأستاذ أبو الفتوح عودة .
- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠ .
- المعامل في تاريخ مصر .
- دار الشروق - القاهرة ١٩٩٣ .
- المراسم في القانون العام المصرى « تحت الطبع »
- دراسة مقارنة عن أنظمة الحكم وأنظمة القصور والمراسم في مصر منذ
الفراعنة إلى اليوم .
- حصل المؤلف عن الأصل الفرنسى على درجة دكتوراه الدولة من جامعة
مارسيليا بفرنسا .
- وحصلت الرسالة على جائزة أفضل رسالة دكتوراه في تاريخ النظم القانونية
والسياسية والاجتماعية وعلى الميدالية الذهبية لمدينة إكس - إن - بروفانس
١٩٨٥ .

رقم الإيداع : ٩٥ / ١٠٦٨٨
I.S.B.N. : 977 - 09 - 0312 - 4

مطابع الشروق

القاهرة ' ١٦ شارع جواد حسى - هاتف . ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ' ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف ' ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

